موت قلب

"لا ندرك قيمة المراحل إلا بعد طقوس العبور"

أنهى طقوس دفن زوجته مع الجماعة. صافحته أياد باردة وأخرى ساخنة، إلا أنه أحس ببرودتها جميعا. حاول أن يقوم من على القبر، فلم يستطع. خانته قواه وركبتاه لأول مرة. أول مرة سيفقد فيها إنسانا عزيزا عليه؛ بل نصفه الثاني. أحبها بكل قوة وعنف وعنفوان. خططا معا لمستقبلهما؛ متى سيتزوجان، أين سيقيمان العرس، عدا تكاليفه، ومكان قضاء شهر العسل، واستمر بهما الحلم حتى تحديد عدد الأبناء الذين سينجبون..

اليوم، ها هي قواه تخونه على الوقوف. تحطمت الأحلام، فصارت يبابا. أرضا بورا "كأن لم تغن بالأمس".

قبل القبر، ومسح ترابه بيده اليمنى. لو كان بإمكانه أن يصطحب قبرها معه لفعل، ولو كان بإمكانه الاستقرار بجانبه لفعل. لكن ماذا سيفعل؟ هل سينساها مع مرور الوقت ويتزوج بأخرى كما يفعل الرجال عادة؟

قست عليه الحياة كثيرا. تَحطم قلبه، وهو في بداية الطريق. نهض، بعد أن استجمع قواه، وشم رائحة الزعتر البلدي، و"الحبق"، و"الشيح"... نظر إلى السماء، فرمته بقطرات باردة. مسح القطرات الخفيفة، و انطلق إلى بيته.

هناك، وبركن ركين، أخذ المصحف، وشرع يقرأ بعض الآي. وضع المصحف جانبا، أشعل سيجارة، وأعقبها أخرى، وبقي هكذا إلى أن أنهى العلبة.

ارتشف كأسين من الشاي البارد، وارتمى بجسده فوق السرير. غط في سبات عميق حتى الصباح. استيقظ متأخرا، وكان من عادته أن يتناول وجبة الإفطار مع زوجته بعد أن تُعدّها. انتظر طويلا كي تأتيه بالطعام، لكن الحياة قالت له مجددا: "لا". قام من مقامه، وصرخ بصوت عال: "أحبك وهذا آخر الكلام."

لف حبلا حول عنقه بعد أن ربطه في سقف الغرفة، اعتلى الكرسي الخشبي المهترئ، أحكم الحبل حول عنقه، حرك الكرسي بقوة، سقط الكرسي، وتحركت رجلاه في الهواء تغدوان وتروحان. مات، والتحق بزوجته، وهناك قرر أن يفطرا معا.